يقول إنه أسوأ عرض تلقاه فى حياته، استفز حتى أنه أشهر عصاه وكاد يهوى بها على المندوب، لولا ابنه الذى لحقه فى آخر لحظة. لكن رد فعله بدا هادئًا عندما جاءه مدير مكتب مجلة عربية وعرض عليه مبلغًا طائلاً، قيل إنه عشرون ألف دولار، مقابل رواية ذكرياته عن المؤسس، على أن تصدر فى كتاب بعد نشرها فى حلقات، لكنه رفض.

تعلقه بالمؤسس لا ينافسه فيه إلا عم صديق، والأبله، وعطية أفندى مطلق الإشاعات، والعاملون الأوائل الذين قامت المؤسسة على أكتافهم ومن عرقهم، إنه الوحيد الذى لم تهن مشاعره رغم كل ما جرى، وبعد أن طالت الغيبة فى المستشفى اللندنى أنفق الجواهرى مدخره كله، سافر على نفقته ليرافقه آخر أيامه، أما صور إخلاصه أيام المحنة الكبرى فمما يتوقف عنده الجدد، والمهتمون بأمور المؤسسة، ونموها، وتطوراتها، الحديث عن الجواهرى يطول، لكننا نقصر الآن، نعود إلى ما جرى.

لم يفاجأ سيادته بتأميم المؤسسة. كأنه توقع ذلك، عندما رآه الرجال القدامى صباح صدور القرارات دهشوا، كانت تعلو شفتيه الابتسامة، ومن زاوية فمه تطل السيجارة الشهيرة، نوع يعدّ خصيصًا له، كل علبة، كل سيجارة تحمل الحرف الأول من اسمه وشعار المؤسسة الثلاثى.

لم يضطرب، ولم يفقد أعصابه ولم يدركه الكمد الذى أصاب آخرين هجّوا بعد ذلك واستقروا فى البلاد الأجنبية وأصدر بعضهم كتبًا معادية، وشارك نفر منهم فى إذاعات تديرها أجهزة مخابرات أوروبية.

أبدًا.. لم يهن حماسه، يؤكد الجواهرى أنه أحيط بقرار التأميم عام أربعة وخمسين، أى قبل سبع سنوات من إعلانه، أثناء إحدى لقاءاته الخاصة بالزعيم جمال عبد الناصر عقب حفل تم خلاله توزيع صكوك